باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترقيباً في المعارف واتساعاً لفهم وتشحيذاً للاذهان . ولكنّ العهدة في ما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ويراعى في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوّلة

دارون وتنازع البقاء

سيدي الاستاذ الفاضل محرر المقتطف

لا يذكر التاريخ نظرية من نظريات العلم كان لها من الآثار السلبية ما يساوي آثارها الايجابية الاّ نظرية دارون في تنازع البقاء . كذلك لم يحمل عالم من علماء الارض قاطبة من التبعات ما حمل دارون اسرافاً من الكاتبين وتطوحاً من الباحثين مع الهوى ومزينات الخيال والوهم

خيل الى الناس لدى اول العهد بنشر كتاب « اصل الانواع » ان الطبيعة عبارة عن معركة دموية يقتل فيها القويّ الضعيف . ونظر الاجتماعيون الى الجماعات من هذه الناحية فزيّن لهم ان الانسان ادنى من الحيوان طبيعة وثبت في تصيّنهم ان الآداب لا يقوم لها صرح ولا يبنى لها اساس الاّ على قاعدة « الحياة بأي ثمن » . هنالك فزع الفلاسفة ونفر المؤدبون وباءت نظرية تنازع البقاء بأخبث الآثار السلبية . وهي آثار قامت في العقل ثم خرج منها قسط الى حيز الواقع المادي من طريق الاقتناع بوجهة من النظر الطبيعي هي في الحقيقة كل الخطأ

يقول دارون في اول الفصل الثالث من كتابه الخالد « اصل الانواع » إنهُ يستعمل اصطلاح « تنازع البقاء » مأخوذاً على وجهته المجازية الصرفة وبعد من بعد ذلك على ان هذا التنازع ان كان كثير الوقوع في الطبيعة قريب التناول في التجربة كما هو سهل الادراك من ناحية العقل والاستقراء الاّ انهُ اصعب ما يكون

في الذهن بقاء واسرع الاشياء من الذاكرة زوالاً

لهذا يرجع السبب اذا امعنت في البحث في ان للنظرية ناحيتين الاولى سلبية شرحنا من قبل مغزاها ومبناها والثانية ايجابية وعليها تقوم النظرية في الواقع حسب ما يدرك منها العلامة دارون

اما الوجهة الايجابية فلا ينكرها احد. لا ينكرها الطبيعيون في علمهم الطبيعي ولا ينكر الاجتماعيون والمصلحون ان هذه السنة قد نفحت الانسانية بسلسلة منظومة من العظماء هم الدوحة الظلة على ارق الصفات الانسانية . هم هداة النوع البشري وعنوان التقدم والارتقاء بل هم قمة الهرم المشيد على انقاض الحيوانية التي تمتُّ اليها الانسانية باصلها البائد

اكتب هذه الكلمات بعد أن طالعت مقتطف يونيو بعناية تامة كما هي عادتي وبعد ان قرأت فيه ختام البحث الذي يكتبهُ اسمعيل حسنين باشا في التعاون والتعليم . وقفت في هذا البحث على شيء استلفت نظري اذ يقول في بحثه ما يلي :

«ان المبادىء التي تلقن بالمدرسة حتى الآن لا ترمي الى اكساب خلق الاحسان والاخاء لانها مشبعة الآن بنظريات دارون ونيتشة التي تكيل الثناء وحسن الجزاء لمن اختص بالقوة وتحض على تنازع البقاء وتعد الناس لهُ لان الغرض من هذه المبادىء تكوين الرجال الفائقين فاذا ما اريد ان يسود الاخاء العام فهذا وقت العمل للعدول عن تلقين تلك المبادىء وان تحل محلها مبادىء شخصية او محلية تنطوي على السخاء والكرم وتتفق والمصالح العامة »

هذا ما جاء في ذلك البحث الختامي . ولست أدري متى وفي اي عصر من عصور التاريخ اكسبت مبادىء التربية الناس خلق الاحسان والاخاء حتى يسوغ لكاتب من كان ان ينسب الى نظريات دارون في تنازع البقاء انها السبب في اكساب الانسان الخلق الحيواني ؟ ما هي جمهورية افلاطون واخلاق نيقوماخوس اشهر من ان نذكر بها متعلماً في هذا العصر . وكانت في القرون الوسطى مادة التعاليم الادبية فلماذا لم تكسب الانسان خلق الاحسان والاخاء من قبل ان يكون لدارون وجود في الدنيا بخمسة وعشرين قرناً من الزمان ؟ هذا فضلاً عن ان كلمات الاحسان والاخاء كمصطلحات الحرية والمساواة وما اليها من الخياليات لا يمكن ان تكون اساساً لبحث علمي حتى تطبق عليها نظرية علمية في سياق بحث في التربية والتعليم

كذلك يقول ان الغرض من هذه المبادىء تكوين الرجال الفائقين. ولست اريد أن ابحث معهُ في ان التربية تري دائماً الى اخراج الرجال الفائقين ولا اود ان اثبت لهُ ان اخراج الرجال الفائقين راجع الى عوامل وراثية ليس للتربية فيها من اثر الاَّ اثر الظل المتحول دائماً بحركة الارض ذاتها . لا نريد ان نبحث في هذا ولكن نريد ان نقول ان هذه ليست مبادىء اتي ليست نظريات في الاجتماع او التربية بل انها سنن طبيعية ثابتة يجب ان تماشيها الجماعات وتخضع لها مبادىء التربية والتعليم وسعادتهُ على علم تام بما بين السنة الطبيعية وبين المبدإ النظري من الفرق البين

ننتهي من هذا الى الكلام في معنى تنازع البقاء الذي يصرفهُ داروين على وجهتهِ المجازية الصرفة ولا نخال ان سعادة الباشا لم يصل اليهِ خبر تلك الرسالة القيمة التي نشرها العلامة الجهبذ البرنس كروبوتكين منذ اعوام عديدة تحت عنوان « التعاضد المتبادل : كعامل تشوئي » وفسر بها حقيقة ما يعني داروين من اصطلاح تنازع البقاء . ولو اردنا ان نشرح القواعد التي بنى عليها كروبوتكين تفسيرهُ ذاك لما وسعنا صدر المقتطف على سعتهِ ولكن حسبنا ان نذكر سعادة الباشا بان تعاضد الجماعات المتبادل سنة في الطبيعة تؤدي الى نتيجة هي بقاء اكثر الجماعات خضوعاً للمعاني الادبية كالشجاعة والتعاضد والحب المتبادل . الحيوانات والطيور والانسان الهمجي والمتمدن شرع في حكم هذه السنة . ولو قرأ سعادة الباشا رسائل العلامة « بيجهوت » Bagehot التي نشرها تحت عنوان « الطبيعيات والسياسة » لرأى فيها من معنى تنازع البقاء ما يؤيد كلامي

اما نيتشة فلا نتكلم فيهِ لانهُ ان اسرف في تطبيق نظريات داروين فعليهِ اسرافهُ وليس هو باول المسرفين . ولكننا نقصد بهذه الكلمات النصفة والقيام بالقسط ازاء مسألة سيىء من ناحيتها اشد الاساءة لعلم القرن التاسع عشر

برقين اسماعيل مظهر

فتح الاندلس

حضرات الافاضل اصحاب المقتطف

سلاماً واحتراماً وبعد فقد طالعت في الاعداد الخمسة الاخيرة من المقتطف رسالة ممتعة للكاتب الفتي انيس افندي النصولي موضوعها « فتح الاندلس » ولما

راقني منها جلها وخالفتهُ في بعضها احببت ان تفسحوا لي مجالاً — اذا طاب لكم ذلك بين صفحات المقتطف لنشر كلتي هذه عنها ولكم الشكر من قبل ومن بعد

استهل الكاتب رسالتهُ بكلمة عن الحالة العمومية في الاندلس ثم فصلها تفصيلاً فعدّد العناصر المختلفة المؤلفة لمجموع سكانها كالسلتي (الاسباني الاصلي) والروماني والقوطي واليهودي ثم بسط الفوارق التي بين كل منها وبين منزلة هذا وذاك ومقدار نفوذ كل منها في هيئتهم الاجتماعية

ثم تطرق الى ذكر الاخلاق وما وصلت اليهِ من الانحطاط البين

واستطرد الى الحالة السياسية وبيّن الاحزاب المختلفة النزعة والتي كانت قد بدأت الاحساد تأكل صدور اصحابها حتى افضى نزاعهم وتشاكسهم الى اقتحام العرب لبلادهم واكتساحهم اراضيهم ثم اضرام الثورة الفكرية بين افرادهم

ولقد كان الكاتب في رسالتهِ كما كان في مقدمتها لا يعتمد على رأي الا بعد قرعهِ بالرأي وتمحيصهِ حتى وحّد بين مختلف آراء عدة مؤرخين من افرنج وعرب والفضل في ذلك يعود لتضلعهِ من اللغات الثلاث العربية والانكليزية والافرنسية وللطريق العلمي الذي سلكهُ في تدبيجهِ الرسالة وكفى بهذا الاسلوب مشوّقاً لمطالعتها ومرغّباً لاستزادة الكاتب في طرق تلك المواضيع المفيدة التي بات مجموعنا بامس الحاجة اليها وقد كاد ان يسود الخيال على الاذهان وان يستولي الجمود على القرائح فيفسد على الناس اذواقهم اذ اصبح المتطفلون لا يجدون سواهُ سبيلاً للكتابة والتحبير . فإلى الامام ايها الاخ الانيس وزوّدنا بما لديك من امهات المواضيع مصورة بذلك القلم السيال مطبوعة بذاك الطابع الجديد اعني بهِ الاسلوب العلمي الاستقرائي البعيد عن الخيال الجانح الذي لا يسمّن ولا يُغني من جوع والملوء بالحقيقة المجردة غذاء العقول والقلوب

اما ما اخالف حضرة الكاتب فيهِ فما جاء في صفحة ٣١ من مقتطف يناير حيث قال « إن طارقاً أتى اسبانيا بحملة لاكتشافها وسلب شواطئها كمن سلفهُ ». ولقد كان هذا الرأي لهُ استنتاجاً عقليًّا كما ذكر مستنداً على النقاط الآتية :

(١) قلة عدد الجيوش التي كانت تحت طارق

(٢) دعوة المؤرخ «عارب» (وقد كاد ان يكون مجهولاً لولا جملة لهُ وردت في كتاب المؤرخ Dozy فتمسك بها) وهي « ما دعاك الى الايغال والتقحم

في بلاد بغير امري وانما كنت بعثتك غازياً ثم تنصرف » هذا على زعم صاحبها قول موسى لطارق حينما التقى به في اسبانيا

(٣) ان الزوارق التي أمّ بها العرب الاندلس لم تكن لابناء غيطشه بل للكونت يوليان ثم شفع براهينه هذه بقوله « ان ابناء غيطشه والعرب انفسهم لم يفكروا بالفتح الاّ عند تضعضع الجيش القوطي اسم جيش طارق »

هذا رأي الكاتب مع ما استندهُ اليهِ من الحجج النقلية والعقلية اما رأيي في الامر فيخالفهُ للاسباب الآتية

(١) ان قلة جيوش طارق كدليل على نزول العرب الاندلس لمجرد الغزو لا تقنع لان العرب لم يسبق لهم ان فتحوا من البلاد غير اسبانية بجيش اعظم ولا هاجموا ممالك غير مماسكة القوط بعساكر اكثر

(٢) إن معاهدة ابناء غيطشة تدل صريحاً على انهم كانوا معتقدين ان القوم انما ارادوا الفتح ولولا ذلك لتضمنت بنوداً تدل على طلبهم ارجاع الملك اليهم وهم لم يفعلوا ذلك بل اقتصروا على طلب ضياع ابيهم . (ص ١٢١ من المقري ج ١)

اما مسألة السفن التي أمّ العرب بها الاندلس وانها تخص يوليان دون ابناء غيطشة فليست لتدل على ان اولئك علموا بمجيء طارق فاتحاً او غازياً بل انها تبرهن على يقظة يوليان وشدة تكتمهِ في امر مؤامرتهِ مع طارق حتى انهم لم يخابروهُ الاّ عند ما استنفرهم لنزيق وطلب اليهم ان يكونوا كلهم يداً واحدة على العدو المشترك ثم عوضاً عن ان يعملوا معهُ متناسين الاحقاد امضوا تلك المعاهدة المعلومة بنودها

وهنا اراني اتساءل ان كيف جاز لحضرة الكاتب ان يأخذ برأي عارب دون رأي ابن القوطية مع ان هذا معلومة مكانتهُ وذاك مجهول مقدار تحققهِ

(٣) زد على ذلك أن موسى لم يرسل طارقاً للفتح الاّ بعد ان تثبّت من خيانة يوليان الذي كان لا يزال حتى ذاك الوقت المانع الوحيد دون اقتحام العرب للاندلس كما يذكر المقري وما كاد يعقد لهُ ويسيرهُ حتى اخذ يبني السفن وهذا مما يدل على عدم اكتفاء موسى بالجيوش المرسلة تحت طارق للفتح الحقيقي لا للغزو الموهوم

(٤) ثم ما كان يتمتع موسى وهو ال(Propogandist) بحق والفائد الكبير من نشر الدعوة الاسلامية ومد السلطان العربي في بلاد اصبحت سهلة الفتح والانقياد لاسيما وقد علم بما آلت اليهِ حالتها من الضعف بسبب الاختلافات الجنسية والمنازعات الحزبية وبما وُعد بهِ من المساعدة الداخلية ؟ !

(٥) هناك حجة أخرى ادعم بها اعتقادي وهي ما جاء في مقال الكاتب نفسه في (ص ٣٤ من عدد يناير من المقتطف) « إن احتلال العرب افريقيا الشمالية وسكناهم بها حرّك بهم حب الفتح الخ . . . . لاسيما وهي تشبه سوريا بسمائها الصافية والمين بطيبة جوها و . . . . . اجل غناؤها الطبيعي و . . . . . » غيرها من الاسباب «جعلت العرب ان لا يتخلوا عنها وهي سهلة الفتح والقياد» اه

(٦) ويجب ان لا نسهو عن كتابة موسى للخليفة واستئذانهِ بالفتح اذ لو لم يكن موسى قد وطد النفس على الفتح لما كان كتب الى الوليد في دمشق في ذلك ولما سهل عليهِ الامر حينما حذّرهُ من التغرر بالمسلمين ثم لم يكن تحذر الخليفة الا لجهلهِ الحالة الحقيقية ولا شدة رغبة موسى باقتحامها الاّ للوقوف على حقيقة امكانية الفتح

(٧) اما عدم مجيء موسى منذ البدء فلواجب أكبر وهو اعداد السفن وتجييش الجيوش . وان هذا لكافٍ ليحول بينهُ وبين الافتكار بالفخر والنصيب الاوفر من الغنيمة

واني اعتقد أن في ما اوردت ما يثبت ان طارقاً انما نزل الاندلس للفتح لا لمجرد الغزو فحسب

ثم هناك امر آخر خالفت فيهِ حضرة الكاتب وهو «دعواهُ ان طارقاً قد احرق السفن التي اقلتهُ وجيوشهُ الى الشواطىء الاسبانية » واني لاثني على رأي المؤرخ Coppé وهو « ان طارقاً لم يحرق السفن المنوه عنها » وادعمهُ بالادلة الآتية

(١) ان المراكب لم تكن لطارق حتى يسوغ لهُ التصرف بها كيف شاء

(٢) ثم لما لم يأتِ ذكر احراق طارق للسفن الاّ في ذلك الخطاب المنسوب اليهِ المشكوك في صحتهِ اصبحنا نرى امرهُ ضعيفاً وما هذا الخطاب عندي الاّ لاحد الادباء المتأخرين عن طارق تمثّل الحالة ورسمها بخطابهِ كما اوحى اليهِ الخيال لا

كما حفظهُ التاريخ الثابت بالنقل والعقل معاً وليس بالمعقول حدوث الاحراق لان طارقاً لم يجتمع بجيش لذريق الا بعد ان قطع مسافة غير يسيرة من الشاطىء والخطاب يذكر ان طارقاً احرق السفن عند ما نزل الشاطىء وهذا كما هو بيّن وهمٌ لا حقيقة لانهُ لو صح ذلك عن طارق لكان فعلهُ قبل ان يهاجم جيش لذريق المخيم حول قرطبة البعيدة عن الشاطىء غرورا كما ذكرت

(٣) ولنذكر قول المقري من ان موسى ما فتىء يبني السفن منذ وجه طارقاً وقول Coppé ان الاسطول كان دواماً حركة الاتصال بين الشاطئين الافريقي والاوربي . فكيف نوفق بين هاتين الحقيقتين وبين ذلك الوهم الا اذا رفضنا الاخير واخذنا بهما وهو الاقرب الى الصواب

وفي هذا ما يثبت ايضاً ان طارقاً لم يحرق السفن البتة

هذا ما احببت لفت النظر اليهِ . واني لاهنىء الاخ بفوزه واستزيدهُ من مثل هذهِ الابحاث التي ترفع الستار عن مجد كاد ينسى لولا ان كان لهُ امثالهُ فينعشون الامة بنسمات امجاد سلف لا يزال حيّاً باثارهِ الخالدة وامجادهِ السالفة

بيروت زكي النقاش

بعض المعربات

طالعتُ في الجزء الاخير من المقتطف مقالةً بهذا العنوان لباحثٍ مدقق «كالده» قال فيها ان في لغتنا العربية كلمات كثيرة نظنُّها اصيلةً وهي بالحقيقة دخيلة . واول كلمةٍ تناولها في بحثهِ هي كلمة اديب . فذهب الى انها معرّبة عن اليونانية Edueprés ووعد ان يستأنف الكلام على الفاظٍ اخرى من هذا القبيل في الاجزاء التالية

ولقد أصاب كلَّ الإصابة في ما توقّعهُ من تصدّي ابناء قومهِ لهُ وإنكارهم عليهِ رأياً خالف فيهِ كما قال رأي اللغويين والمستشرقين كافّةً هذا كلُّهُ أنبأ بوقوعهِ ولكنهُ صارح القرّاء بان إنكار ائمّة اللغة لرأيهِ لا يزحزحهُ عنهُ قيد شعرةٍ بل يظل مُصرّاً على التمسك بهِ . وكأني بهِ اراد ان يوهمهم انهُ شديد الاقتناع بصحة ما يدّعيهِ . فهو يحاول ان يجتذب ولو بعضهم اليهِ . ولكن ليتهُ عوّل في ذلك على البرهان والدليل

وخلاصة استدلاله انهُ كان للاديب في عصر الجاهلية وصدر الاسلام معانٍ غيرُ معانيهِ المستعمل فيها الآن . وان تلك المعاني هي : — « الطيب الحديث الحسن الصوت الذي يؤنس السامعين بسحر مقاله ويجذبهم اليهِ برقة منطقهِ ولذيذ صوتهِ » . ثم فسَّر اللفظ اليوناني الذي زعم ان كلة اديب معربةٌ عنهُ وقال انَّ معناهُ كلامٌ طيبٌ ومنطقٌ عذبٌ وخطابٌ لذيذ . واورد مقتبسات شعريةً ونثريةً مدَّعياً أن كلتي اديب وادب وَرَدَتا فيها بمعناهما القديم لا بمعناهما الحديث وختم بتنصُّف المتدبِّرين

ولقد تدبَّرتُ ما كتبهُ فلم يسعني — مع اعجابي بغزارة علمهِ وسعة اطلاعهِ — إلاَّ ان أُخالفهُ في ما اعتقدهُ . واول ما أُلاحظهُ عليهِ انهُ بعدما ادعى انَّ للاديب معانيَ قديمةً ومعاني حديثةً اقتصر على ايراد معانيهِ القديمة . وكان ينبغي لهُ ان يُتمِّمهُ بذكر معانيهِ الحديثة توطئةً للمقارنة وتسهيلاً لإظهار الفرق الذي يدَّعيهِ بين هذه وتلك ثم يثبت للقراء بادلةٍ لا تنقض أنَّ الاقدمين لم يستعملوا الاديب الاَّ بالمعاني التي ذكرها والاَّ فانَّ مجرَّد قولهِ : — « ان للادب والاديب معاني قديمةً غير المعاني التي صارت اليها مع تتابع القرون » لا يجدي فتيلاً ولا يروي غليلاً . وان يستردني ايضاحاً اقل لهُ اني طالعتُ معاني « اديب » في غير واحد من كتب اللغة المطولة فلم اجد فيها تغايراً يُسوِّغ قسمتها الى قديمة وحديثة بل رأيتها كلها — مع شدة التوسع فيها — مما يحتملهُ تعريف الاديب في الاصل بانهُ « الظريف والحسن التناول » فيدلُّ على سائر معانيهِ المتفرِّعة منهُ والمرتبطة بهِ دلالةً عقليةً بالتضمن او بالالتزام . وان لم يوافقني حضرة « كاتبه » على ذلك فليتفضل بذكر معنى الاديب الحديث الذي يغاير معناهُ القديم ولا يصحُّ ان يراد في ما استشهد بهِ شعراً ونثراً

ولستُ ممن ينكر ان في اللغة العربية كلمات كثيرةً انتقلت اليها من الحبشية والفارسية واليونانية وغيرها . ولعلَّ جانباً من هذه الكلمات لم يفطن اصحاب المعاجم اليهِ فلم ينبهوا عليهِ . ولكن هل هذا كافٍ للحكم على كل كلة عربية بانها دخيلة ومعرَّبة لوجود بعض المشابهة اللفظية بينها وبين كلة في احدى اللغات الاجنبية ؟ وان لم يحقَّ لنا عند وجود هذه المشابهة ان نحكم بان الكلمة في تلك

اللغة منقولة عن شبيهتها في لغتنا فليحقّ لنا على الاقل — نعم على الاقل — ان نحكم بكون المشابهة قد وقعت بين الكلمتين اتفاقاً . والاّ فقام الانكليز مثلاً يدعون ان كلمات قطّ وكلّ وقطن معربات عن Cat, All, Cotton, في لغتهم ولم يصعب على غيرهم من الاجانب ان يحذو حذوهم في ذلك لاحتمال وجود المشابهة بين كثير من الكلمات العربية وكلمات في اللغات الاجنبية

بقي ان حضرة «كلده» ادّعى العجمة في اول الامر لادب واديب كليهما ولكنهُ لم يلبث ان قصرها على الثاني وقال ان العرب اشتقّوا الادب من الاديب. وفي كلامهِ على هذا الاشتقاق تسامح لا يجوز السكوت عنهُ . فقد قال : — «ان فعيلاً يؤخذُ غالباً من فَعُلَ يَفْعُلُ مضموم العين في الماضي والمضارع . وان مصدرهُ يكون غالباً على فَعَل بالتحريك» . وهذا القول صحيح في نصفهِ الاول اي من حيث مجيء الصفات من الافعال المضمومة العين في الماضي والمضارع على فعيل فان لهُ الاغلبية الكبرى ويوشك ان يكون مطّرداً . ويليهِ وزن فَعُل بفتح فسكون نحو سَهُل وعذُب وجزُل وضخم. اما كون مصدر هذه الافعال يجيء غالباً على فَعَل بفتح الفاء والعين فالاستقراء يناقضهُ ويثبت كونهُ من اندر مصادرها واقلها استعمالاً . والاغلبية الكبرى انما هي لوزن فَعالة كفصاحة وبلاغة وحصافة وجراءة . ويليهِ وزن فُعُل بضم فسكون كقبح وعنف وقرب وبعد . ووزن فُعُولة نحو سُهولة وصعوبة وعذوبة ومروءة . اما المصادر التي على وزن فَعَل فقليلة جدًّا . وقد لا يذكر منها الكاتب مما يكثر دورانهُ في الالسنة سوى أدب وحسب وكرم وشرف

القاهرة أسعد خليل داغر

(المقتطف) لما بعث الينا العلامة «كلده» العراقي بالالفاظ المعربة من اليونانية كتب الينا يقول «عسى ان تعلقوا عليها ما يبدو لكم فيها»

وكان الكراس الثاني من المقتطف قد طبع قبل الاول ولم يبقَ مجال لذكر ما عنّ لنا من التعليق فاجّلناهُ الى هذا الجزء. ثم ورد علينا بعض الردود عليهِ فنشرنا اولها هنا ورأينا ان نسهب في التعليق لكي لا يتعب الكتّاب انفسهم فيما لا فائدة منهُ فنقول

اذا رأينا صورتين زيتيتين متماثلتين تماماً احداهما صوّرها زيد سنة ١٥٠٠

والثانية صوّرها عمرو سنة ١٩٠٠ رجحنا كل الترجيح ان عمراً نقل صورتهُ عن صورة زيد لانهُ لا يقع تماثل بين شيئين في كل مقوماتهما مرة من كل الف مرة الاّ نادراً جدًّا كما يعرف بعلم رياضي اسمهُ علم المرجحات . واذا امكننا ان نثبت ان الصورة التي صوّرها زيد تشبه في اسلوبها الصور التي صورها اهل مدرستهِ وان عمراً رآها قبلما صوّر صورتهُ وان صورتهُ لا تشبه في اسلوبها الصور التي صورها اهل مدرستهِ قطعنا ان عمراً نقل صورتهُ عن صورة زيد

كذلك اذا الّف زيد هذا كتاباً في موضوع ما والّف عمرو كتاباً مثلهُ في موضوعهِ وعدد فصولهِ واسلوب كتابتهِ وكان كتاب زيد مماثلاً في موضوعهِ لعلوم المدرسة التي تعلم فيها واما الكتاب الذي القهُ عمرو فمخالف لعلوم مدرستهِ وان عمراً اطّلع على كتاب زيد قبل تأليف كتابهِ ثبت لنا ان عمراً نقل عن زيد

ثم ان اللغات المعروفة الآن كثيرة جدًّا ولم تكن كذلك في السنين الغابرة بل المرجح انها كلها مشتقة اصلاً من لغة واحدة او من لغات قليلة جدًّا وانها كانت في اول امرها قليلة الالفاظ بسيطتها من مخرج واحد او مخرجين ثم زادت كلمات كل فرع منها بالوضع والاشتقاق والتحريف والاختزال والنحت وباقتباس لغة من اخرى لان الناس يقتبسون الالفاظ كما يقتبسون العادات والازياء ولا يحسبون ان كلام الغير محرّم عليهم . وقد جرت العربية في كل ذلك مجرى غيرها من اللغات القديمة والحديثة . ومعلوم ان العرب اتصلوا بالمصريين والاراميين والعبرانيين واليونانيين والرومانيين والاحباش والفرس والاتراك وامم اوربا الحديثة فلا بد من ان يكون قد دخل العربية كثير من لغاتهم وان يكون قد دخل لغاتهم كثير من العربية . فاذا وجدنا كلة في العربية تشبه كلة في لغة اخرى لفظاً ومعنى فالى اي اللغتين يجب ان تنسب او ايّهما اقتبستها من الاخرى . هنا نعود الى مثل الصورة والكتاب اللذين ذكرناهما آنفاً اي الى من هو اسبق في استعمال الكلمة وهل لهذه الكلمة اشتقاقات اصلية في لغتهِ واللغات التي من طائفتها . وغني عن البيان ان الذي يحق لهُ ان يبحث هذا البحث ويكون لهُ فيهِ كلام مسموع هو الذي يعرف العربية واللغة التي يزعم ان الكلمة معرّبة منها ويعرف تاريخ هذه وتلك . أما ان يبرهن احد من كتب متن العربية او اشعار شعرائها او كتب نحوها وبيانها ان هذه الكلمة معربة او غير معرّبة فكالذي يحاول ان يثبت من تاريخ محمد علي ان

الاسكندر المكدوني لم يدخل افقطر المصري . ولذلك اغفلنا بعض الردود التي جاءتنا على كلمة لاننا رأيناها من هذا القبيل

وقد قال «كلمة» في مقتطف يونيو ان كلمة اديب بمعنى الطيب الحديث معربة من كلمة Eduepés وهذا لم نكن نعرفهُ ولكننا انبهنا منذ بضع سنوات الى ما في كلمة ادب من اختلاف المعاني فرجحنا ان ادب يأدب بمعنى اولم ولعمة من ادفس Edavos اي ما يؤكل وهي من ادو Edw بمعنى اكل ومنها ادومي Edomai اي ادام . والكلمات اليونانية الثلاث مشتقة من اصل واحد بمعنى الاكل والادام. ودخول الميم في اليونانية لازم هنا والفعل ايونيٌّ قديم

فهنا كلمتان عربيتان متماثلتان معنى وهما ادب وادم ومتشابهتان لفظاً فيهما اختلاف لا موجب لهُ في العربية وهما تشبهان كلمتين يونانيتين لفظاً ومعنى والاختلاف في الكلمتين اليونانيتين لهُ موجب صرفي . واللغة الايونية هي لغة اقدم اليونان سكان غربي اسيا الصغرى والظاهر ان لغتهم كتبت قبل المسيح بقرون كثيرة فان احد فلاسفتهم طاليس كان في القرن السابع قبل المسيح . واما عربية قريش التي فيها كلامنا فلم يقع التدوين فيها الاَّ في القرن السابع بعد المسيح ومعاجمنا اقدمها العين كتاب الخليل جُمع في اواخر القرن الثاني للهجرة بعد ان اختلط العرب بكل الامم في مصر والشام والعراق . والقواعد المتقدمة ترجح ان ادب بمعنى اولم وادام بمعنى طعام او ما يؤتدم بهِ معربتان من اليونانية . واذا قام عالم باللغة المصرية وقال وجدت في الكتابات المصرية القديمة التي كتبت قبل المسيح بالف سنة او الفي سنة كلمة ادب وادم بمعنى اكل ترجَّح لنا ان العرب واليونان اقتبسوا هاتين اللفظتين من المصرية القديمة او ان اليونان اقتبسوا من المصرية والعرب من اليونان او ان المصرية القديمة والعربية مشتقتان من اصل واحد

عنقود العنب والزيت

حضرة الفاضل صاحب المقتطف الاغر

سلاماً وتحية : وبعد ارجو نشر هذه الحكاية في مجلتكم مع رأيكم فيها واقبلوا فائق احترامي

كنا في نزهة مع جماعة من العلماء فحدثنا احدهم حكاية عن العنب والزيت

كان رآها بنفسه على اثر رؤيتنا قطف عنب في الحقل وهي « كنتُ مدعوًّا عند احد الاصدقاء الى العشاء وبعد ما أتى الليل بظلامهِ وكان الشهر اذ ذاك في اواخرهِ أشعل لنا رب البيت « سراجاً » فيهِ زيت فقط واذ المكان الذي اضيء بهِ أصبح خاوياً على دوالي عنب قطوفها مدلاة على الارض . فدهش الجميع من هذه الحادثة وظننت ان رب البيت ساحر الى ان سألتهُ عنها فاخبرني السبب وهو : « إن هذا الزيت الذي حدث منهُ هذا الفعل كان قبل ستة اشهر موضوعاً في اناء وفي الإناء عنقود عنب غير ناضج (حصرم) وبقي فيهِ الى ان نضج العنقود . ثم اخذنا العنقود منهُ واشعلنا الزيت وها هو كما ترى »

هذا ما أتى بهِ ذلك العالم وانني دهشت من هذا الخبر حتى انني بقيت مدة صامتاً بلا كلام أعلل هذا الخبر حتى وجدت ان احسن الطرق عرض هذه الحكاية عليكم فتبدون بها رأيكم

م . فوزي كيالي
معلم في مدرسة مجدل عسقلان

(المقتطف) انتم بين فرضين اما ان تفرضوا حدوث حادث يخالف كل ما يعرف من نواميس الطبيعة وهذا يكاد يكون محالاً . او ان تفرضوا ان الخبر غير صحيح إما لان العالم الذي اخبركم بهِ غير صادق او انهُ صادق ولكنهُ سمعهُ من غيرهِ وصدَّقهُ ورواهُ كأنهُ رآهُ بنفسهِ او سمع شيئاً شبيهاً بهِ فبالغ فيهِ حتى صار كما رواهُ وذلك كلهُ كثير الوقوع . ولو رأينا وجهاً لصحة هذا الخبر لامتحناهُ ووضعنا عنقود حصرم في الزيت وانتظرنا حتى ينضج ان كان نضجهُ ممكناً كذلك واشعلنا الزيت . واكثر اصحاب الاعمال يجرون هذا المجرى فاذا قال قائل لفلاح من ابسط الفلاحين بلّ الحمص بالماء وازرعهُ تستغل منهُ قمحاً او قال لصانع بل الخمام بماء فيهِ ملح فيصبغ بلون ازرق او قال لتاجر اضف الى السكر دقيق القمح فيغلو ثمنهُ ثلاثة اضعاف لم يصدقوا ما قيل لهم لانهُ غير معقول او لانهُ مخالف لاختبارهم واختبار اسلافهم واذا خامرهم ظن باحتمالهِ جربوهُ